مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الأول
(ذو القعدة 1444هـ/ جوان 2023م)، ص 276– 290

الكتابة التاريخية الفرنسية الاستشراقية حول السيرة النبوية الشريفة

French orientalist historiography on the biography of the noble Prophet.

رباحة آمال [1*] rebaha.amel@univ-ghardaia.dz

الحاج عيفة[2] Elhadjaifa@yahoo.com

[1] جامعة غرداية

[2] جامعة الجزائر(2) أبو القاسم سعد الله

المؤلف المرسل: ط.د/ آمال رباحة rebaha.amel@univ-ghardaia.dz

تاريخ الارسال: 2022/11/28 تاريخ القبول: 2023/01/02

الملخص:

تندرج هذه الورقة البحثية ضمن الدراسات المتعلقة بالاستشراق والتاريخ الإسلامي عموما و السيرة النبوية الشريفة على وجه الخصوص، و يمكنني القول بأنه نادرا ما أرى مستشرقا لم يتناول الدين الإسلامي سيرة في أبحاثه، وأن أغلبية المستشرقين لم يتمكنوا من التخلص من الفكر المعادي والتصور المشوه، لأهم المراحل التاريخ الإسلامي وهي مرحلة النبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وتردل القرآن الكريم، فخاضوا في دراستنا، لكن شأن **الرسول صلى الله عليه وسلم** والقرآن أكبر من افتراءات هؤلاء المستشرقين، ومنا هنا يبرز الهدف الذي أسعى إليه أن أوضح صورة لمواقف وانتقادات بعض المستشرقين الفرنسيين من خلال الكتابات التي أنتجوها، وأحيل الباحثين في هذا المجال إلى الردود العلمية لبعض الباحثين العرب، ذلك أن الكتابات الفرنسية عن **الرسول صلى الله عليه و سلم** مبكرة متأثرة بروح العداء للإسلام و لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام من قبل المستشرقين، وذلك لأن جل ما كتب عن الإسلام في تلك الحقبة كان من علماء ومستشرقي الديانتين اليهود و النصارى لهذا جاءت كتاباتهم أبعد ما تكون عن نزاهة البحث العلمي و الإنصاف.

لهذا سخرت فرنسا جمعياتها و مجلاتها المؤلفة من مستشرقين درسوا الكتب الاسلامية، و السيرة النبوية و اللغة العربية و غيرها من لهجات المسلمين خدمة لجامعاتها كتب فيها كبار المستشرقين لويس ماسينيون، هنري ماسييه ***Henri Massé***،جوستاف **لوبون** ***Gustave le bon***، ماكسيم رودنسون ***Maxime Rodinson***.

الكلمات المفتاحية: الكتابة التاريخية، الاستشراق، السيرة النبوية، المستشرقون الفرنسيون، الكتابات الفرنسية، التاريخ الاسلامي.

Abstract:

The current literature on orientalism shows that most orientalists who addressed the Islamic history in in their research revealed their hostil thoughts and distorted perceptions for the most important stage in the Islamic history that is the prophet hood of Muhammed(PBUH). This current study aims at clarifying the position and criticisms of some French orientalists through their writings with reference .the reason is why France harnessed it's associations and magazines published by orientalists who studied Islamic books.

Key Words: Historical writing-orientalism- Sirah of noble prophet-French orientalists-French Historiography-Islamic History.

1- مقدمة

شهد العصر الحديث (**القرن التاسع عشر**) ظهور أبحاث إستشراقية سعت إلى قولبة الظاهرة التاريخية العربية الإسلامية بقالب يتفق وميولها وأهدافها بحسب نظرتهم الاستعلائية المتحيزة، التي بدأ بها رهبان وقساوسة، حتى الذين حاولوا التجرد في دراستهم للإسلام دينا وثقافة، وتراثا تاريخية للمسلمين لم يسعهم إلا الاعتماد على الدراسات الإستشراقية السابقة التي وقعت في مشكلة هذا الصراع الحضاري، ودراساتهم للغة العربة ليأخذوا الإسلام من لغته، فوقعوا بهذه اللغة في مشكلة محدودية الفهم للنصوص التي اقتبسوها من كتب التراث وعجزوا من فهمها على ما أريد لها من الفهم[1]، بل إن الدراسات هذه التي تعود إلى ما قبل الحروب الصليبية على أيدي رجال ونساء من الغرب كانت دوافعهم غير صافية من حيث المنهجية في دراسة التراث التاريخي للأمة العربية الإسلامية.**فقيما تمثلت مفارقاتهم بشأن تاريخ السيرة النبوية؟ و كيف كانت ردود الوسط العلمي العربي الإسلامي و إسهاماته في مجال السيرة المحمدية؟**

2. الكتابة التاريخية الإستشراقية الفرنسية :

1.2 تعريف الاستشراق:

إن الفعل الإستشراقي كان وليد المركزية الأوربية، فاعتمد على معرفة الماضي التاريخي والفكري، والواقع الديني والسياسي لأرض وشعوب الحضارة العربية التي كانت موعودة بالاحتلال والاستعمار، فبدأت معرفتهم من شعلة حضارية موقدة، بدأ عصر التأثر غير المباشر بالعالم الإسلامي فتح الأندلس 711م، وحتى تأسيس مدرسة (**سالرنو**)[2] ، في منتصف القرن السادس عشر، ليبدأ عصر الترجمة من العربية إلى اللاتينية، خصوصا في جنوبي إيطاليا، ثم بدأ عصر الاستعراب الذي يمثل قمة التأثير العربي الإسلامي.[3]

ولمعرفة من يكون أصحاب هذا الفعل يجدر هنا الاستشهاد بنص كتبه العلامة محمود مُحَمَّد شاكر–**رحمه الله**–في رسالته في الطريق الي ثقافتنا، حيث يقول:" **المستشرق** " فتى أعجمي ناشئ في لسان أمته و تعليم بلاده، وغروس في آدابها

وثقافتها حتى استوى رجلا في العشرين من عمره أو الخامسة و العشرين ،فهو قادر أو من المفترض أنه قادر على التفكير والنظر ، ومؤهل أو مفترض أيضا أنه مؤهل أن ينزل ميدان " **المنهج**" بقدم ثابتة[4].

فالظاهرة الإستشراقية هي مجموع إنتاجهم الفكري، فإن إطارها غير الأخلاقي يزيدها تشوها وبعدا من الالتزام الموضوعي، لأن انحرافهم الفكري الذي يؤسس مطبوعات المستشرقين السياسيين ويواكب أعمالهم الاستعمارية أحيانا، يفرض بصمات قاتمة من الخيانة العلمية والأخلاقية، بل والإنسانية كذلك، **فكيف لنا أن نتصور مستشرقا يقدر أن يلتزم بالأخلاقية العلمية وهو طرف في عمليات تخطيطية لاستعمار بلد أو فكر عربي إسلامي ؟.**

لهذا ظهرت طبقة من المستشرقين لا عمل لها – **على الأقل خلال القرون الثلاثة الأولى لنشأة الظاهرة الإستشراقية** – إلا تشويه الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والتركيز على تضخيم خلافات المسلمين مع بعضهم. كانوا ينتظرون منهم أن يكونوا ملائكة، فلم يتورعوا عن محاولة النيل من أعظم شخصية عرفها التاريخ.[5]

فكان التاريخ من أول المظاهر التي ركزت عليها هذه الحركات والتيارات المناهضة للأمة العربية وتاريخها، فالتاريخ كان ولا زال يحتل أهمية خاصة من تكوين الشخصية العربية الإسلامية، بما يحتوي على مظاهر الوحدة والتنوع، يؤكد على ترابط واستمرار العنصر العربي عبر العصور بكل قيمة وإنجازاته في السياسة والحرب والحضارة، تلك المنجزات التي ظهرت طبيعتها الإنسانية من خلال انتفاع شعوب أخرى من خارج "**دار الإسلام**". [6]

كما ركزت الظاهرة الإستشراقية على الدراسات الإستشراقية في المجال الإسلامي الديني كانت تقوم على حصر المصادر ونوعيتها، وطغى عليها التقليد في البحث الإستشراقي، وهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات و الافتراءات[7] نفسها، والتي نسجها المستشرقون الأوائل في العصور الوسطى الأوربية.

فلقد خضعت وقائع التاريخ الإسلامي ومظاهره الحضارية في معالجات اشتدت على تفاسير متنوعة في الماضي والحاضر، ولم تكن بعض هذه التفسيرات والمعالجات تستند على وقائع ثابتة أو روايات موثوقة، بل وصل بعضها إلى مستوى التزوير عن قصد للظاهرة التاريخية [8]، محاولين بذلك تشويه صورة التاريخ الإسلامي وتمييع حقيقته، ومع ظهور حركات التقصير ومصادقة مجمع فيينا الكنسي عام **1312م** على ضرورة تعليم اللغة العربية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا، فتم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكوليج دي فرانس **Collège de France** بباريس، فكان أول من شغله هو المستشرق الفرنسي الشهير **Quillaume Postal** غيلوم بوستيل (ت 1581) الذي يعد أول المستشرقين الفرنسيين الذين أسهموا في إثراء دراسة اللغة العربية، ونقلوا بعض التراث العربي إلى اللغة الفرنسية. [9]

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

إن المشكلة التي تواجهنا حيث نحاول البحث في ماهية وطبيعة الاستشراق في التاريخ الإسلامي مشكلة ليست يسيرة، فهناك جملة عوامل تتحكم في عمل المستشرق نفسه وبالتالي في تحليلاته وفي الأنموذجات السياسية والحضارية التي يعالجها من تاريخ العروبة والإسلام، فالنصوص أو الوثائق التاريخية التي يجمعها المستشرق لكي يقدم صورة تاريخية لظاهرة معينة قد تكون قليلة أو مقتضبة إلى حد الإخلال أو محرفة لغويا، فليس هناك ثمة فائدة مرجوة من كتابة البحوث المطولة وتطعيمها بالحواشي المرصوصة بالعديد من المصادر دون أن يكون لتلك البحوث قيمتها المتوخاة في رسم صورة أقرب ما تكون لواقع الحياة في فترة موضوعة البحث[10].

وهكذا يمكن أن يلاحظ كل من تتبع بدقة هذه الأعمال الإستشراقية في مجال الدراسات الإسلامية، ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات قصد التشكيك في مصداقية وموثوقية النصوص القرآنية والسيرة المحمدية، وقد يهدف المستشرق من وراء ذلك إلى افتعال البلبلة في العقول كما فعل **الفرنسي بلاشير Blachère** في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية عند إحالته على كتاب "الإتقان" لابن النديم، ثم قال : "**حسب رواية يقدمها لنا ابن نديم فإن عدد السور المكية 85 وعدد السور المدنية 28**"، ثم يعقب بقوله : **لاحظوا فالمجموع 113 سورة !!**"[11] ، ومن هنا برز النزعة الغوائية للتنسيق الداعية إلى تشويه الحقائق وكل ما هو مسلم به فنجد المستشرق الذي عرف بمنهجه النقدي في البحث لم يذكر أنه ربما وقع سهو في كلام ابن العديم وأن العدد 86 تحول إلى 85 نظرا لأخطاء أثناء عملية النسخ، ما دام إجماع الأمة الإسلامية على أن عدد سور القرآن 114 سورة [12].

فكان غرض المستشرقين الأول من دراسة التاريخ الإسلامي هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه، فقد رأت أوروبا أنها لا تستطيع أن تتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوربا إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحهم وحكمهم، وكان هذا المنزع الأوروبي بعد أن تحول حكام المسلمين إلى مجرد طول، إذ وضعوا مصاحفهم ورسالة الإصلاح جانبا، وأحلو رؤوسهم تيجان الملك الوراثي الذي لا يعرف له رسالة خارج دائرة القصر والحشم.[13]

2.2 الاستشراق الفرنسي و السيرة المحمدية:[14]

اذا كانت المصطلحات مفاتيح العلوم، وكان باب كل علم مصطلحاته ، فان المصطلحات التراثية بمثابة المفاتيح الممهدة لفهم العديد من الظواهر المرتبطة بتاريخ **السيرة المحمدية الشريفة**، بل ان المصطلحات و خاصة المدونات التاريخية الاسلامية منها هي مفتاح فهم العلاقة الرابطة بين الكتابات التاريخية في معظم فترات التاريخ الاسلامي، و المؤرخين الغربيين وتسليطهم الضوء عليها. و قد يكون من الحكمة أن نراجع كباحثين و مؤرخين غيورين على سيرة نبيهم هذا الدور، وبخاصة بعد نهضة علم الاستغراب الذي يعتبر العلم المضاد المضلل للكتابات التاريخية العربية.

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

لأن من الظواهر التي صاحبت المد الاسلامي و ازدهار العلوم حركة الفكر الإستشراقي التي عنيت بتراث العرب بالدراسة و التحليل المخطوط منه و المطبوع، و اهتمت به المدرسة الفرنسية على وجه الخصوص في فترة من الفترات التي انشغل فيها المسلمون عن هذا التراث، و انصرفوا الي متطلبات الحياة البدائية في معظم المجتمعات المسلمة، حتى أصبح العلم و العلماء غرباء في هذه المجتمعات .لأن هؤلاء المستشرقين اتكأوا كثيرا على "**الخلفية غير الإيجابية** "تجاه الاسلام و العرب لأنهم يعتبرونه التهديد العقدي الأول للوجود الحضاري للغرب[15].فكان من نتائج هذا الاهتمام أن توجه المستشرقون الفرنسيون لتحقيق عدد كبير من المخطوطات العربية الاسلامية النادرة، و مع أن بعض تحقيقاتهم قد اعتمدت نسخة أو نسخا معدودة، و ربما كان أقرب للنشر منها الي التحقيق ،لكن أعمالهم قد أفادت المكتبة العربية كثيرا و ذلك بإغنائها بالكتب المحققة[16].

فالمدرسة الإستشراقية في فرنسا من أبرز المدارس الإستشراقية وأغناها فكرا وأخصبها إنتاجا وأكثرها وضوحا، ويعود سبب ذلك للعلاقات الوثيقة ربطة فرنسا بالعالم العربي والإسلامي، فكانت فرنسا موجودة في معظم علاقات العرب بأوروبا، فبدأ الفكر الإستشراقي يبحث عن نفسه نتيجة صدام حضارتين كتب لهما أن تزدهر في رقع جغرافية متقاربة، فجاء الاصطدام الحضاري كأعنف ما يكون حيثما لم ترق أي منهما للتعاون والتكامل، فكان الصدام تخليصا لما سمي بأرض المسيحية في الأندلس والهجوم على معاقل الإسلام في الغرب، والذين واجهوا هذه الحضارة لم يكن يغرب عن أذهانهم أنها حضارة علم، ولولا الروح الانتقامية التي شيدها المتعصبون الغربيون، لعرفت الحضارة الإنسانية تعايشا فريدا في التاريخ.

ومن جهة أخرى يجب عدم إغفال أن المدرسة الإستشراقية الفرنسية تعد أشد جورا على الاسلام و المسلمين ، و**السيرة النبوية** على وجه الخصوص، فلو أحصينا ما تم تأليفه من كتب وبحوث عن **السيرة المحمدية** لوجدنا الدراسات الفرنسية تمثل نسبة عالية مقارنة بالدراسات الالمانية والانجليزية.[17]

فعالج المستشرقون الفرنسيون تاريخ السيرة النبوية وصدر الإسلام أكثر من اهتمام الباحثين المسلمين إما من خلال الكتب التي نشروها في هذا الحقل بصورة عامة أو من خلال بحوث ودراسات تخص جهة معينة أو ظاهرة جلبت انتباههم.

وسأوضح من خلال أمثلة من المستشرقين الفرنسيين الذين أخذوا على عاتقهم استخلاص ما يمكن استخلاصه من النصوص التاريخية التي تناولت السيرة النبوية، ومحاولة إعادة تعريف الذات الغربية الأوروبية، و إعادة صياغة دونيتها أمام هذا الإرث التاريخي الإسلامي الهائل في شكل من أشكال الفوقية[18]. ومن الدارسين الذين تخصصوا في التاريخ الإسلام ففي مقدمتهم **لويس ماسينيون Louis Massiguor**[19]، في كتابه **"الدعامات السبع في الإسلام والمسيحية"** استطاع أن يرتفع بأعماله فوق أغلب زملائه المعاصرين له، استطاع أن يمد الدراسات الإسلامية بإسهامات تتم عن عمق

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

دراسي، على الرغم من وقوعه تحت تأثير ما نسميه الروح الاستعمارية التي سادت عصره، والتعاملات التي درج عليها المستشرقون وقد شكلوا جزءا لا يتجزأ منها[20]، وفي هذا الصدد نتساءل : **هل كان يمكن أن تحدث الظاهرة الإستشراقية الفرنسية لو لم يظهر الإسلام و نبي الاسلام؟.**

ويلاحظ أن هناك نشاطا مكثفا في توجه الأقلام الإستشراقية الفرنسية في هذا المضمار منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، فألف المستشرق **بولينفييه Henri Boulainvillers** كتابا بعنوان **حياة مُحَمَّد** وهو باللغة الفرنسية، ولم يترجم الي اللغة العربية بينما قد ترجم الي اللغة الإنجليزية، وألف دي مومبين **Maurice De Mombyne** كتابا بعنوان (**مُحَمَّد**) وهو بالفرنسية و لم يترجم، و ألف المستشرق الفرنسي المعروف **رينان E.Renan** بحثا بعنوان(مُحَمَّد و أصول الإسلام)(**Etudes de l'histoire et religion**) المنشور في 1864. و صنف المستشرق الفرنسي **Ch.Scholl** كتابا بعنوان الإسلام و مؤسسه **l'islam et son Fondateur** و طبع في باريس سنة 1874.[21]

فاندفاع هؤلاء المستشرقين على دراسة كل ما هو **إسلامي (تاريخ، اجتماع... الخ)** كان وليد انفعالات في إرثهم القديم، فخطاباتهم الإستشراقية تعذبها عواطف اكتشاف ذلك التاريخ المجهول الغامض المحاط بالرموز[22]، فالتراث التاريخي بمشرقه وغربه الإسلامي ليس مجرد كيان جغرافي بالنسبة للغرب الأوروبي و مستشرقيه ،بل هو عالم إسلامي يقف شامخا باعتزاز[23]، وكأنه التاريخ كله، وصاحب حضارة أسهمت في ثقافة الإنسان، وأضاعت الكثير من المعارف والنظريات في مختلف حقول المعرفة الإنسانية.

ومن الدارسين الذين تخصصوا في التاريخ الإسلام ففي مقدمتهم لويس ماسينيون **Louis Massiguor** ، في كتابه "**الدعامات السبع في الإسلام والمسيحية**" استطاع أن يرتفع بأعماله فوق أغلب زملائه المعاصرين له، استطاع أن يمد الدراسات الإسلامية بإسهامات تتم عن عمق دراسي، على الرغم من وقوعه تحت تأثير ما نسميه الروح الاستعمارية التي سادت عصره، والتعاملات التي درج عليها المستشرقون وقد شكلوا جزءا لا يتجزأ منها ، فالمستشرق لويس ماسينيون قصر حياته كلها على دراسة حياة الحلاج وفكره الصوفي، كما انتقد ماسينيون المستشرق الفرنسي **هنري لاسنس Henri Lammens** المتحامل على القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي : **ما كان سيبقى لا منسى من الأناجيل لو طبق عليه منهجه النقدي الذي مارسه على القرآن"**

ومن هنا نطرح الإشكال التالي: **ماهي أهم المصنفات الفرنسية التي تناولت السيرة النبوية الشريفة، وما مدى ثقة الباحثين والمؤرخين العرب بالمعلومات الواردة عن طريق المستشرقين فيما يتعلق بسيرة نبيهم الكريم ؟**

مجلة المفكر مجلة المفكر مجلة المفكر

3.الدراسات الإستشراقية العرقية :

إن الدراسات الإستشراقية ذات الطابع العرقي قام بها أولا **أرنست رينان**[24]**Ernest Renan**، حيث كتب عدة مؤلفات عن أصول الساميين و عن فقه اللغات السامية ، و يعتبر العرب و المسلمون هم المركز الذي تدور حوله جل الدراسات الشرقية دون غيرهم من الاجناس العرقية[25].

فحاول هؤلاء المستشرقين إقامة تفسير لمسار التاريخ الإسلامي العام و بالتالي" **الطبقي**" مما يفسر ظاهره :ففي المرتبة الأولى القلة المؤمنة و الآخذة في الاتساع و المرتبة التجار المكيين الذين اعتنقوا دين **مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم** لإدراكهمّ أنه لا يناقض نشاطهم التجاري، و مرتبة البدو الأعراب التي لا ينال ولائها الا بحد السيف ،[26]ذلك أن دين **مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم** الذي انتشر في أقل من قرن في غرب آسيا و شواطئ البحر الأبيض المتوسط الجنوبية و الغربية .إذن كان يعمل **رينان** على تسمير الإسلامي و الرسالة النبوية من خلال منهجه الفيلولوجي ،الذي يميز العرق و الجنس العربي بالعرق العقيم الذي لا يعلم و لا يبدع.[27]

وهذا مستشرق فرنسي آخر **كلود كاهن**[28] **Claude Cahen**الذي ردد آراء أمثاله من المستشرقين التي لا هدف من ورائها سوى إثارة النعرات العرقية التي تهدف إلى تشويه تعاليم السيرة النبوية الشريفة و تمزيق صفوف المسلمين خاصة فيما تعلق بالجهاد الإسلامي.[29]

والمستشرق (**أ،ل، شتاليه**) رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي الفرنسية، فيقول :" **ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز على أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، وهدم الفكرة الإسلامية التي تحفظ كيانها إلا بعزلتها وانفرادها**"[30].

1.3 المستشرقون الفرنسيون والسيرة النبوية :

تطورت التفسيرات و الرؤى الإستشراقية عن التاريخ الإسلامي و خاصة الموضوعات المهمة جدا مثل حياة الرسول الكريم و شخصيته و دعوته، و سيرته و أخلاقه و شمائله، فقد أثار اهتمام المستشرقين و إنشدت اليه أقلام المؤرخين والأدباء الفرنسيين، و يمكننا القول أنه من النادر أن نقرأ مساهمة أي مستشرق عن التاريخ الإسلامي و لم يتناول حياة الرسول و شخصيته و سيرته أو الدعوة الإسلامية في سنينها الأولى سواء أكان ذلك عن طريق تأليف كتب مستقلة عنه أو تخصيص فصول كاملة من دراسات و مؤلفات عامة.[31]

مجلة المفكر مجلة المفكر مجلة المفكر

هنا أيضا يمكن القول بأن دراسات المستشرقين عن **حياة الرسول الكريم** هي الأخرى قد مرت بعدد من المراحل التاريخية، وقد تميزت كل مرحلة من هذه المراحل بظهور قدر ما من الدراسات الإستشراقية تحمل الي حد ما مزايا و سمات واضحة وربما قواسم مشتركة[32]،فبدأت جهود المستشرقين تتوالى لدراسة الإسلام ونبي الإسلام و الاطلاع على حقائقه، وذلك بعقد أول مؤتمر للمستشرقين بباريس عام **1290/1873**هـ، وتوالي المؤتمرات بالانعقاد لوضع هؤلاء الإسلام والسيرة النبوية على سلم أولوياتهم لمآرب عدة .

و من زاوية أخرى أولى الاستشراق الفرنسي السيرة المحمدية بالاهتمام أكثر من اهتمام الباحثين المسلمين، فالأعمال التي تطرق اليها الاستشراق الفرنسي و خلفها هؤلاء في هذا الحقل كثيرة و متعددة ،و لعل أهمية هذا الاهتمام تكمن في أنه قديم قدم الاستشراق الفرنسي ذاته، بل يمكن القول بأن الاهتمام بسيرة النبي **مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم** قد سار جنبا الي جنب مع الاهتمام **بالقرآن الكريم** تأليفا و ترجمة[33].

فجاءت الكتابة التاريخة الإستشراقية الفرنسية عرضا للآراء و تفسيرات عن الدعوة الإسلامية، **و حياة الرسول صلى الله عليه و سلم**، و القرآن الكريم مزوجة بكثير من القصص الخيالية التي لم تستند إلا على أدلة تاريخية ضعيفة في مصداقيتها و تعد محاولة–**على الرغم من بدائيتها و سذاجة أفكارها** –لدراسة و تفهم أحوال العالم الذي انشغلت به أوروبا في تلك العصور [34].

فما نتابعه اليوم من هجوم شرس على ثوابت الدين و انتقاص من قدر الرسالة المحمدية ما هو إلا ثمرة ممارسة إستشراقية امتدت لبضعة قرون تحت مظلة الكنيسة ،و من بين المقولات المغرضة التي تثار بين الفينة و الأخرى تلك التي تشكك في عالمية الرسالة، وتسعى لتقليم أظافر المد الإسلامي بزعم أنها وقف على العرب وحدهم[35].فظهرت فئتين من المستشرقين: **فئة مغالية و متعصبة ترمي الرسول عليه الصلاة و السلام** بأقبح الصفات فهذه الكتابات لا تخلو من الأخطاء التاريخية و اللغوية، لأنه مهما بلغت معرفتهم باللغة العربية ،فانه يغيب عنهم عبقرية الإسلام و تعابيره [36]،و نذكر على سبيل المثال لا الحصر المستشرق **ماكسيم رودنسون**[37]**Maxime Rodinson**،الذي نشر دراسة تحت عنوان: **حصيلة الدراسات المحمدية Bilan des études Mahomèdienne** ،بالمجلة التاريخية التي تصدر بباريس ،و ما أورده رودنسون من مواضيع: أمية **الرسول صلى الله عليه و سلم** ،و الحروب التي شنها لأسباب مادية[38].و لم يفت بلاشير **Blachère** أن يخص شخصية النبي ﷺ بالدراسة و التحليل و التأريخ، فأصدر كتابا بعنوان قضية مُحَمَّد عليه **أفضل الصلاة و السلام le Problème de Mahomet** في سنة1952ليكون عونا له على فهم القرآن، و في

سنة1956نشر كتابا آخر عن **النبي صلى الله عليه و سلم** بعنوان **على خطى مُحَمَّد Dans les pas de Mahomet**[39]،و حسبنا أن نذكر تعريف حديث النبي الكريم من حيث موضوعه: هو علم يعرف به أقوال **الرسول صلى الله عليه و سلم**، و أفعاله و أحواله، و لذلك لا يمكن أن تقبل تلك المفتريات، و هذا جهل مركب وقع فيه المستشرقون، سواء اليهود منهم أو المسيحين[40].

كما يذكر **جوستاف لوبون** Gustave le bon[41] مفصحا عن أهداف الاستشراق الفرنسي في تعصبهم لشريعة مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم و في زحزحة المسلمين عن التمسك و الالتزام بتعاليم نبيهم الكريم: "**و العرب بعد أن جاءهم رجل عظيم جمع كلمتهم المتفرقة بشريعته، لم يظهر منهم رجل عظيم آخر ليخرجهم من دائرة تلك الشريعة**[42]**، ويظهر المستشرق لو شاتلييه** Le Chatellier **و رئيس تحري مجلة العالم الإسلامي تعصبه الشديد للرسالة النبوية، "نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائما للمجهودات المبذولة في سبيل إعادة التربية الدينية للعرب ،و في سبيل التربية النصرانية"**[43].

وفي هذا الصدد يعترف جوستاف لوبون قائلا : "**إننا لسنا مفكرين أحرارا في بعض الموضوعات، والمرء عندنا ذا شخصيتين، الشخصية العصرية التي كونتها الدراسات الخاصة والبيئة الخلقية التي استقرت بفعل الماضي وتأثيرا السلف...، وهكذا فإن أوهامنا الموروثة عن الإسلام، قد تراكمت عبر قرون كثيرة وصارت جزءا من طبيعتنا المتأصلة فينا**" .

كما يستند معظم المستشرقين الفرنسيين ذوي النزعة اليهودية إلى تأكيد الأصل التوراتي للقرآن و الادعاء بأخذ الرسول صلى الله عليه و سلم عن الأحبار، و في هذا الصدد يقول **هنري ماسيه Henri Massé**[44]:"**إن مما لا ريب فيه أن التأثير اليهودي يبدو واضحا من التأثير المسيحي ،و قد حاول مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم أن يستميل اليهود حيث زودته علاقاته بهم بمعلومات عن العهد القديم...الخ**"[45].كما تحدث ماسيه في كتابه **الإسلام** « l'islam »،عن جغرافية شبه الجزيرة العربية التي ظهرت بها الرسالة المحمدية وأهم محطات حياة النبي عليه الصلاة والسلام[46].

و هذا المستشرق الفرنسي كونت هنري دي بولنفييه **Count .H. de Boulainvillers** ينشر كتابا باللغة الفرنسية عن الرسول الكريم "**حياة مُحَمَّد" vie de Mahomet** يميل فيه إلى إظهار فضل المسيحية على الإسلام، فيقول:" **إن كل**

.

.

ما جاء به مُحَمَّد من مبادئ دينية هو صحيح ،لكنه لم يأت بكل ما هو حقيقة و هذا هو كل الاختلاف بين ديننا ودينه"[47].

و بناءا على ما سبق يمكنني القول أن الكتابة التاريخية الإستشراقية الفرنسية تطورت مع بداية القرن التاسع عشر و القرن العشرين تطورا هائلا يتمثل بزيادة الاهتمام في ملاحقة البحث للعثور على المخطوطات الإسلامية و تحقيقها و دراستها، فقد برزت هذه التطورات في توجيه بعض المستشرقين الي إنجاز بحوث و مؤلفات عن الرسول الكريم ،فها هو **المستشرق لامانس** يتنكر لمؤلفات السيرة المحمدية والحديث النبوي الشريف بوصفها تحتوي على مرويات وكتب موضوعة و مشكوك فيها [48].

2.3. المدرسة التاريخية العربية و التحقيق في الدراسات الفرنسية :

لابد من بروز الدور العربي من خلال المدرسة التاريخية العربية للتصدي لشبهات و كتابات المدرسة الفرنسية ، وهذا يستدعي مؤرخين أكاديميين كما و نوعا، مهتمين بقضايا تاريخهم الإسلامي و سيرة نبيهم الكريم، فحقد المستشرقين الفرنسيون على الاسلام **و القرآن و الرسول الكريم** حفز الباحثون على تناول هذا الموضوع بالدراسة و التحقيق في القراءات التاريخية الاستشراقية التي بنت مواقفهم و تفسيراتهم **للحديث النبوي الشريف و السيرة الشريفة** للرسول الأعظم.

و في هذا الصدد يقو الأستاذ عبد الله عباس الندوي عن المستشرقين الفرنسيين:" **لم يكونوا أقل حقدا على الاسلام ،بل أكثرهم دهاءا و ذكاءا، فلم يوجهوا الشتائم الي رسول الإسلام فقط، لكنهم أرادو التقليل من رسالة الاسلام عن طريق تصرفاتهم في الترجمات، و مثل ذلك :و لما جاء عند الآية:" و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذير".** فتصرفوا في نص الترجمة وذكروا: " **يا أيها الرسول ما أرسلناك إلا العامة من الناس**"[49].

ولإنصاف تاريخنا الاسلامي و سيرة نبي الأمة لابد من التحقق من معرفة اتجاهات النشر لدى المستشرقين بمعني أن نعرف الكتب التي تخلص اهتماماتهم، و تجذب انتباههم و من أي فرع من فروع المعرفة ،و ما علاقتها بما ينشرونه.

–التحقق كذلك من درجة الدقة و الإتقان في هذه الدراسات، بل درجة الصحة و الصواب، و ما عمق الخلل للعجز عن ادراك سر اللغة العربية، و عدم امتلاك ذوقها، بل و ما عمق الزلل نتيجة للأحكام المسبقة، و المواقف غير المحايدة ،بل والعدائية التي تدعو الي تعمد التشويه و التحريف، و عند ذلك تفرغ الأمة الإسلامية من هذه القضية و يصدر الحكم فيها بالأدلة الدامغة و الحقائق الثابتة[50].

فحرص هؤلاء المستشرقين الشديد بدراسة السيرة المحمدية، و نشر مؤلفات عنها لا تفسير له إلا في ضوء أهدافهم، فهم يقيمون دراساتهم، و ينشرون تحريفاتهم، و يروجون لها بكي تشل حركة الأمة الإسلامية و يقعدونها عن مقاومة الفكر الغربي، بل يزينون لها الاستسلام و الرضوخ.

مجلة المفكر مجلة المفكر مجلة المفكر

فالعبقات التي تواجه المؤرخين المسلمين في مثل هذا الموضوع ضخمة جدا ، إنما يحتاج الي مزيج من البحث العلمي للتقويم والبصيرة النافذة، و مثل هذه البصيرة رغم ندرتها لابد أن تكون، و من غير المحتمل أن يوفق المؤرخون العرب في محاولاتهم في التأثير على الرأي العالمي[51]، و على الأقل لم يوفقوا في مجال الأخلاق يعني أخلاق الرسول عليه الصلاة و السلام، – **فالعرب المسلمون** – حسب التعبير الذي تردد في دعوة المستشرقين الفرنسيين ليس بإمكانهم التأثير، و هم لا يستطيعون أن يجعلوا الرأي العالمي ايجابيا في مواقفه حيال أخلاق **الرسول صلى الله عليه و سلم**، و بأنه كان رسولا مرسلا صادقا و أمينا .

4. خاتمة:

إن دراسة السيرة النبوية الشريفة ومؤسس الحضارة الإسلامية و تتبع لمسيرته الفكرية و الدينية العقائدية كان لها الأثر الواضح في المصنفات الاستشراقية، و من أهم النتائج المتوصل إليها أذكر:

–أثبتت الممارسات الاستشراقية أنها لا زالت أسيرة الروح العداء لإسلام و قلة هم من انتصروا للحقيقة المجردة عن الهوى أن الإسلام دين عالمي و أن مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم خاتم المرسلين.

–تاريخ الأمة الإسلامية تاريخ إسناد، حقيقة لا تحتاج إلى بيان، و أن دين النبي الكريم هو الدين الوحيد الذي له تاريخ محفوظ.

–توجه المستشرقين الفرنسيين إلي دراسة الحديث النبوي في وقت متأخر أمضوا وقتا في الدراسات التاريخية و الأدبية.

– حاولت معظم الدراسات هدم بنيان الشريعة الإسلامية من خلال شنهم حملة شعواء على أحاديث **الرسول عليه الصلاة و السلام**.

–المستشرقون لم يكتفوا بالطعن بصحة الأحاديث النبوية، بل طعنوا في شخص **الرسول** ﷺ.

–التشكيك في **نبوة مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم** لزرع بذور الشك في أهم دعامات الحضارة الإسلامية.

–أن حجم عمل المستشرقين الفرنسيين في مجال السيرة النبوية الشريفة ضخم كما و ليسا نوعا و تحقيقا.

–اعتني المستشرقون الفرنسيون بالنشر و التأليف عن السيرة المحمدية لهدفين : هدف التفريق و كل ما يؤدي إشاعته و نشره الي تجديد النزاع بكل صوره الفكري و المذهبي. و اتجاه يفقدنا الثقة بماضينا و سيرة أعظم خلق الله **الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم**.

–المدرسة الفرنسية ألبست مستشرقيها طيلسان البحث العلمي، و رفعوا لواء الأكاديميات، لكنهم مضللون ،خائنون للعلم والمنهج، و الأمانة و طرق البحث.

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

-الاهتمام المبالغ فيه و عنايتهم بالسيرة النبوية الشريفة كانت و مازالت و ستظل من باب اعرف عدوك، فهذه السيرة المحمدية تعتبر المعبر لعقولنا و عواطفنا ، و مشاعرنا ، و اهتماماتنا و اتجاهاتنا، و حبنا ،أرادو العبث بها لتدميرنا فكريا بعدما حطمونا عسكريا و سياسيا.

-و من أعجب العجب أن تجد أمتنا الإسلامية العربية تشكر و تمجد و تظم أمر هؤلاء المستشرقين لمجرد أنهم احتفظوا بتراثها، أو قدموه إليها صورة منه، و عهدي بالدول الواعية أنها تفضل الاهتمام بتراثها الاسلامي من أن يقع في يد أعدائها[52].

-المدرسة الاستشراقية الفرنسية التاريخية أسهمت إسهاما غير جيد في التصدي للتراث الاسلامي لاسيما فيما يتعلق بالإسلام و سنة المصطفى مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم.

5. الهوامش:

1محمود الغول، **الاستشراق اليوم، المستشرقون أقل دراية بأسرار اللغة العربية**، دار العربي، 1959، ص 118، أنظر أيضا : علي بن إبراهيم النملة: **مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقون**، استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993، ص 8.

2 مدينة إيطالية عاصمة مقاطعة ساليرنو جنوبي البلاد

3 شوقي أبو خليل، **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين**، ص 11-12.

4مُحَمَّد محمود شكري، **رسالة في طريق الي ثقافتنا**، القاهرة، دار الهلال ،1987/1408،ص.259

5 مُحَمَّد ياسين مظهر صدقي، **الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي**، ط1، 1988، ص 6. .

6 فاروق عمر فوزي، **الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى، دراسة مقارنة بين وجهة النظر الاسلامية ووجهة النظر الأوروبية**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1998، ص 9.

7 حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 21 .

8 فاروق عمر فوزي، المرجع نفسه، ص 140

9 حسن عزوزي، **آليات المنهج الإستشراق في الدراسات الإسلامية**، المرجع السابق، ص56 .

10 فاروق عمر فوزي : المرجع السابق، ص139 .

11 مولود عويمر، **المستشرق ريميس بالشير (1900-1973) والدراسات الإسلامية**، جبهة العلماء المسلمين الجزائريين، 8 ذو الحجة 1436هـ، ص3.

12 حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 24.

13 عبد المتعال مُحَمَّد الجيري، **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1995م، ص 16

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

14La Beaume (Jules):**Mahomet**, **R-F**, N:13, 1869, p465-474.

15 ميم نسرين لطيفة، **جهود المستشرقين في نشر التراث العربي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإستشراقية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس،2014-2015، ص 90 .

16عبد الجبار ناجي، **الاستشراق في التأريخ الإشكاليات-الدوافع-التوجهات-الاهتمامات**، المركز الأكاديمي للأبحاث،ط1، بيروت، لبنان،2013، ص482.

17 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق ، ص**482**.

18 جون. م. غانم، المرجع السابق، ص 35.

19 **لويس ماسينيون Louis Massignon (1883-1962)** : من أكبر المستشرقين الفرنسيين وأشهرهم، وقد شغل مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، إلتزم بدراسة الإسلام دراسة عميقة وجدية، وهي الأفكار المهمة التي آمن بها ماسينيون كانت فكرة "البدلية"، وأمثالها "الحلاج" الذي درسه ماسينيون بعمق وأنجز أطروحة الدكتوراه عنه عام 1914، نال دبلوم الدراسات العليا من بحث حول بلاد المغرب بعد زيارته تعرف على محمود زيهر في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر، وأصبحا من أحب أساتذته إليه في الاستشراق، أنظر/ نجيب العقيقي، المستشرقون، ط4، القاهرة، دار المعارف، ج1، ص ص 263-267.أنظر أيضا:

-Manoel Pénicaud : **Louis Massignon .le 'catholique musulman** .Revue afrique Contemporaine.2020.p321.

20 المنظمة العربية، **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية**، ج1، ص354.

21 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص269

22 مُحَمَّد فاروق النبهان، **الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، 2012، ص 7.

23 مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع نفسه، ص 8.

24 **ارنست رينان**:1823-1892 فيلسوف و مؤرخ فرنسي ،اهتم كثيرا بتاريخ الأديان واللغات و الأجناس، عرف عنه تحيزه للحضارة القومية الأوروبية، و تقليله من شأن حضارة الإسلام و المسلمين و العرب، أنظر / عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم الملايين،بيروت،ط2، 1984،ص316.

Ernest Renan : **l'islamisme et la science** .conférence faite à la Sorbonne.le29 mars1883.

25 أكرم ضياء العمري، **موقف الاستشراق من السنة و السيرة النبوية**،دت، ص57.

26 بن سالم حميش، **العرب و الإسلام في مرايا الاستشراق**، دار الشروق،ط1،2011، ص86.

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

27 بن سالم حميش، المرجع السابق،ص86.

28**كلود كاهن**(1901-1991م:) مستشرق يهودي فرنسي ،ولد قبل الحرب العالمية الاولى، التحق بمدرسة المعلمين العليا ،و بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، أنظر/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، بيروت،2003، ص ص460-461

29 -Claude Cahen :**histoire des arabes et des peuples musulmans**.p. 14.

كلود كاهن،1991، ص74.

30طارق سرحي، **المستشرقون و منهج التزوير و التلفيق في التراث** الإسلامي، ط1،مكتبة النافذة، 2006، ص135.

31 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق،ص191

32 المرجع نفسه، ص191.

33 حسن عزوزي، **الإهتمام بالسيرة النبوية باللغة الفرنسية**: عرض و تحليل،دت،ص17.

34 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص192

35 حميد بن حبيش، **أوراق في السيرة و الأخلاق-عالمية الرسالة في ميزان الاستشراق**،ص2.

36 لخصر بن بوزيد، الدراسات الإستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الاسلامي، مجلة دراسات استشراقية، ع2018،15،ص37 .

37- François Bron:**Maxime Rodinson1915-2004**.**Annuaire de l'école pratique des hautes études** .**persée**2006 .pp39-41.

.Revue historique. Vol1. 1963.p 168.

38 حسن بزاينية، **نقد الخطاب الاستشراقي سيرة مُحَمَّد و نشأة الاسلام في الاستشراق الفرنسي المعاصر**،2019 ،ص45 .

39 محمود مقداد، **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا** ،سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ع167،نوفمبر1992،ص219.

وكتاب بلاشير عن السيرة النبوية هو حصيلة محاضراته التطبيقية للدراسات العليا و ناقش فيه فصولا من حياة النبي الكريم وشكك في كثير من الأحاديث النبوية لذلك قال بضرورة الاقتصار على القرآن في كتابة السيرة، للأن الأحاديث تضمنت في نظره أخبارا و معلومات تاريخية غير صحيحة وضعها رواة بعد وفاته لأغراض متعددة ،أنظر مولود عويمر :المستشرق ريجيس بلاشير و الدراسات الاسلامية ،أنظر/

-M.Rodinson. :R Blachère.le coran.Revue de l'histoire des réligions.1959.1.pp98-99..Dussaud René:Régis Blachère.le problem de Mahomet .Syria. Art et histoire.1953.30.pp163-164.. Régis Blachère:le problem de Mahomet .Essai de biographie critique du fondateur de l'islam.paris.1952.pp5-16.

40 سعد المرصفي، **المستشرقون و السنة**، مكتبة المنار، مؤسسة الريان،ص28.

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر

41 جوستاف لوبون، **مؤرخ فرنسي كتب في علم الآثار و الأنثروبولوجيا**، عني بالحضارة الشرقية، أنظر: احمد طه محجوب :نظرة المستشرقين للإصلاح و التجديد في الاسلام دراسة نقدية ،مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الاسلامية، ع16، ص284.

-Michel Korpa: **Gustave le Bon.hier et aujourd'hui**.paris.éd.france empire.2011.p390.

42 جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،1969،ص394 .

43 شاتلييه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة مساعد اليافي و محب الدين الخطيب،ط1 القاهرة،1350هـ،ص19 .

44 -M Achena : **Henri Massé(1886-1969)cahiers de civilization medieval**,13.1970.p263.

45 حسن عزوزي، المرجع السابق،ص25.

46Febvre Lucien: **Henri Massé. l'islam** .annales.15. 1932.p 324.

47 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 197.

48 المرجع نفسه، ص204.

49 طارق سري، المرجع السابق، ص138

50 عبد العظيم الديب، **المستشرقون و التراث**،ط3،الوفاء للطباعة ،قطر، 1992،ص8.

51 عبد الجبار ناجي، المرجع السابق،ص214.

52 عبد العظيم الديب، المرجع السابق، ص44.

مجلة الفكر مجلة الفكر مجلة الفكر